

١١ مرفت زكريا

باحث في الدراسات الإيرانية
طالبة دكتوراه بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة

١٢ شريف هريدي

باحث في الدراسات الإيرانية
طالب ماجستير بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة



تأثير عملية « طوفان الأقصى » على الدور الإيراني في المنطقة العربية

مقدمة :

أثار رد الفعل الإيراني على اندلاع عملية «طوفان الأقصى»، التي نفذتها حماس ضد المستوطنات الإسرائيلية في غلاف قطاع غزة الفلسطيني، في السابع من أكتوبر لعام ٢٠٢٣م، الكثير من التساؤلات حول حدود دور طهران في دعم ما يُعرف بـ «محور المقاومة» في المنطقة العربية، علاوة على مصداقية هذا الدور. ويتوازي ذلك مع البحث في مدى صحة محددات التورط الإيراني في هذه العملية، فرغم أن بعض التقييمات تُشير إلى أن إيران قد فوجئت بالعملية ولم تكن أفضل خياراتها في التوقيت الذي اندلعت فيه، فإن تقييمات أخرى ترجّح تورط إيران من ناحية أنه لولا دعمها الفصائل الفلسطينية، حماس والجهاد الإسلامي، طوال السنوات الماضية، عسكرياً ولوجستياً، ما كان لهذه العملية أن تتم.

بقيادة بشار الأسد، الأمر الذي يفرض تداعيات قد لا تبدو هيئة على مستقبل الدور الإيراني بالمنطقة.

أهداف الدراسة :

- ١- أهداف إيران من وراء عملية طوفان الأقصى.
- ٢- ملامح الدور الإيراني في هذه العملية.
- ٣- عرض نتائج طوفان الأقصى على الدور الإيراني في المنطقة العربية.
- ٤- توقع مستقبل الدور الإيراني بالمنطقة العربية.

تساؤلات الدراسة :

- ١- ما هي أبرز أهداف إيران من عملية طوفان الأقصى؟
- ٢- ما هي أهم ملامح الدور الإيراني في عملية طوفان الأقصى؟
- ٣- كيف أثرت عملية طوفان الأقصى على الدور الإيراني في المنطقة العربية؟

وبغض النظر عن الدخول في الحُجج المتعلقة بصحة كل من الفرضيتين؛ فإن طهران قد حققت العديد من المكاسب جرّاء اندلاع طوفان الأقصى، في حين أنها ألحقت بها أضراراً وخسائر بالغة. إذ حققت لها أهدافاً مثل تعزيز ما يُسمّى مبدأ «وحدة الساحات» من خلال انخراط أذرع إيران في عملية إسناد مستمرة للفصائل الفلسطينية في غزة وتوظيف حالة التعاطف العربي والإسلامي ضد الممارسات الإسرائيلية في قطاع غزة، في مزيد من التقارب بين إيران ودول المنطقة، واستغلال حالة الانشغال الدولي والإقليمي بالأحداث في غزة في تطوير برنامجها النووي، إلا أن نتائج هذه العملية جاءت مغايرة لذلك؛ حيث أشارت بعض التقديرات الغربية إلى أن إسرائيل اكتسبت المزيد من القوة عقب هزيمتها وكلاء إيران بالمنطقة، ولاسيما بعد سقوط النظام السوري



٤- ما هي أبرز محددات مستقبل الدور الإيراني بالمنطقة العربية؟

الإطار الزماني للدراسة:

تبدأ الفترة الزمنية للدراسة منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م؛ حيث التاريخ الفعلي لبدء عملية طوفان الأقصى التي شنتها حركة حماس على إسرائيل حتى فبراير ٢٠٢٥م.

محتويات الدراسة:

- ١- أبرز أهداف إيران من وراء عملية طوفان الأقصى.
- ٢- ملامح الدور الإيراني في عملية طوفان الأقصى.
- ٣- انعكاسات الدور الإيراني على المنطقة العربية.
- ٤- أبرز ملامح مستقبل الدور الإيراني في المنطقة العربية.

أولاً: أبرز أهداف إيران من عملية طوفان الأقصى

ثمة مجموعة من المحفزات التي دفعت إيران لتأيد عملية طوفان الأقصى من قبل حركة حماس على إسرائيل، وهي ما يمكن توضيحها على النحو التالي:

١- تعزيز الدور الإقليمي؛ رغم إعلان إيران عدم علمها بموعد عملية طوفان الأقصى، إلا أنها كانت من أولى الدول الداعمة لها؛ حيث أكد أمين المجلس الأعلى للتسيق بين رؤساء السلطات الثلاث في إيران محسن رضائي، في اليوم ذاته الذي انطلقت فيه العملية وهو ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م، أن إيران ملتزمة بوعدها بدعم أشقائها الفلسطينيين، الأمر الذي أدى إلى توجيه الاتهام إليها بالوقوف وراء هذه العملية. وبشكل عام، فقد استهدفت إيران من وراء هذا الدعم الترويج لقدرات حركة حماس المالية لها تعزيز دورها الإقليمي من خلال التأكيد أن لديها حلفاء أقوياء قادرين ليس فقط على حمايتها، ولكن تحقيق أجندة سياستها الخارجية بالمنطقة.

وتكمن مساعي إيران من وراء دعم الوكلاء وتوطيد نفوذها بالمنطقة في الانتقال من كونها فاعلاً إقليمياً إلى العالمية باتجاه منافسة القوى الكبرى، بما يؤدي للاعتراف بمصالحها بالشرق الأوسط وتكوين محور سياسي يقود إلى دفع تغيير هيكل النظام الدولي نحو التعددية القطبية بما يُنهى سيطرة عملة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام المصرفي الدولي ويُحد من تداعيات العقوبات الغربية على إيران^(١).

٢- تصعيد دور «محور المقاومة»؛ استهدفت إيران من وراء عملية «طوفان الأقصى» تعزيز دور الجماعات المسلحة التابعة لها بالمنطقة، وتصعيد دورها في مواجهة أعدائها بالمنطقة؛ فبالنسبة لحزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية فإنها كانت ترغب في أن يكونا جزءاً من الاستراتيجية الإيرانية الهادفة إلى تعزيز الردع في مواجهة إسرائيل، وإبراز مدى إمكان سهولة اختراق الأجهزة الأمنية الإسرائيلية. فلسنوات عديدة، رُوّجت تل أبيب لأسطورة مقنعة حول فعالية وكفاءة وحداتها الاستخباراتية، من خلال التأكيد أن أي عمل يشكل تهديداً لإسرائيل داخل فلسطين أو خارجها سيتم الكشف عنه مسبقاً، واتخاذ التدابير اللازمة، وهو الأمر الذي أثبتت كتائب عز الدين القسام-الجناح العسكري لحركة حماس- عدم صحته. وفيما يتعلق بحزب الله فقد كانت إيران تهدف من وراء مساندته الحرب في غزة إبراز مدى فاعلية مبدأ «وحدة الساحات» في تهديد الأمن القومي لإسرائيل بما يتضمن اختراق منظومتها الأمنية، وتهجير سكان الشمال وإضعاف وضع الاقتصاد الإسرائيلي^(٢).

وفيما يتعلق بالجماعات المسلحة التابعة لإيران في العراق؛ فكانت إيران ترغب من وراء دخولهم كجبهة مساندة لحركة حماس في قطاع غزة في إبراز القدرة على تهديد المصالح الأمريكية ليس فقط في العراق ولكن في المنطقة العربية. وبالنسبة لجماعة الحوثي اليمنية استطاعت إيران توظيفها في تعطيل حركة الملاحة العالمية من خلال منع السفن التابعة لإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا من المرور عبر باب المندب إلى قناة السويس على اعتبار أن هاتين القوتين من أبرز داعمي إسرائيل^(٣).

٣- ردع إسرائيل؛ كانت ولا تزال إسرائيل محورياً بالغ الأهمية لسياسات الأمن القومي الإيرانية، نظراً للتوترات التاريخية بين الجانبين. ومن هذا المنطلق، كانت الحاجة إلى أن تحافظ طهران على شكل من أشكال الدفاع المتقدم ضد تل أبيب جزءاً رئيسياً من استراتيجيتها في سوريا والشام؛ حيث يُنظر إلى إسرائيل باعتبارها التهديد الإقليمي الأكبر لإيران على خلفية مسؤوليتها عن عدد من الهجمات ضد البنية التحتية الحيوية والمواقع النووية والعلماء والعسكريين الإيرانيين المشاركين في البرنامجين النووي والصاروخي.

المدمرة ألبرز والسفينة الحربية بوشهر، تبنى أى رد فعل على الهجمات ضد الحوثيين، بل إن إيران قد سحبت بالتزامن مع الضربات ضد الحوثيين، سفينتها الاستخبارية «بهشاد» التى كانت موجودة فى هذه المنطقة منذ عام ٢٠٢١م، وهى السفينة التى كانت تتهمها أوساط غربية بمساعدة الحوثيين فى الحصول على المعلومات بشأن السفن والناقلات المارة عبر البحر الأحمر، ما يُسهّل على الحوثيين استهدافها^(٥).

٥- الحد من العزلة الدولية: استهدفت إيران أن تؤدى عملية «طوفان الأقصى» إلى إضعاف إسرائيل من خلال إبراز مدى الهشاشة التى توجد عليها أجهزتها الأمنية، وأن تصبح إيران هى الفاعل الرئيسى فى التفاهات اللاحقة على هذه العملية مع القوى الدولية والإقليمية التى من المقرر أن تكون قائمة عليها. وبالتالي، تصبح إيران وليس إسرائيل القوة الإقليمية الأجدر بأن تسعى القوى الأخرى على تعزيز العلاقات معها.

وانطلاقاً من القوة التى سيحظى بها الدور الإيراني بالمنطقة، وفق هذه الرؤية، فإن إيران ستكون قادرة على عقد المزيد من الشراكات الاقتصادية مع القوى الكبرى فى العالم ولاسيما الشرقية منها مثل روسيا والصين؛ حيث كانت ستُعَدُّ إيران فى هذه الحالة الفاعل الأساسى فى الترتيبات الأمنية والعسكرية بالشرق الأوسط ومن الممكن أن تعتمد عليها هاتان القوتان ليس فقط فى تأمين مصالحهما بالمنطقة، ولكن ضمان التمدد على حساب الدور الأمريكى. وفى هذه الحالة، فإن طهران كانت ستُحد من تداعيات العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها^(٦).

ثانياً: ملامح الدور الإيراني فى عملية طوفان الأقصى

برزت ملامح عدة للدور الإيراني فى عملية طوفان الأقصى، التى تمثل أهمها فى:

١- الدعم العسكرى: فقد كشفت الهجمات التى أطلقتها الجماعات المسلحة التابعة لإيران فى المنطقة (غزة، لبنان، العراق واليمن) عن مدى التشابه وربما التطابق بين الأسلحة الموجودة لديهم والمصنّعة فى إيران، ولاسيما فيما يتعلق بالطائرات المسيّرة؛ حيث أشارت بعض التقارير إلى أن الطائرات المسيّرة التى استخدمها حزب الله اللبناني، فى ١٧ أبريل عام ٢٠٢٤م، فى إحدى الهجمات على قرية عرب العرامشة فى شمال

وهنا، اعتبرت إيران عملية «طوفان الأقصى» بمنزلة فرصة غير مسبوقة لتأكيد قدرتها -بمساعدة حلفائها- على حماية أمنها القومى فى مواجهة التهديدات الإسرائيلية. كما كانت تستهدف إيران من وراء عملية «طوفان الأقصى» إفراغ اتفاقيات التطبيع العربية مع إسرائيل من مضمونها، وإفشال مخطط التطبيع السعودى مع إسرائيل الذى كان يتم الترويج له قبيل السابع من أكتوبر، والتى وصفها المرشد الأعلى على خامنئى بأنها تُعد بمنزلة الخيانة للعالم الإسلامى^(٤).

٤- إبعاد الحرب عن طهران: يرسّخ فى الخيال العام للإيرانيين فكرة رفض الدخول فى مواجهات مباشرة واسعة، وذلك فى ضوء الإرث الثقيل الذى خلفته حرب السنوات الثماني مع العراق فى الفترة من عام ١٩٨٠م حتى عام ١٩٨٨م. ومن ثم فقد حرصت إيران، منذ بداية اندلاع «طوفان الأقصى»، على تفادى الانخراط فى مواجهة مباشرة مع إسرائيل أو الولايات المتحدة، وقد ظهر ذلك جلياً فى نفي المرشد الأعلى على خامنئى، يوم ٨ أكتوبر عام ٢٠٢٢م، أى صلة لبلاده بعملية حماس ضد إسرائيل. يُضاف إلى ذلك، أنه عندما تم استهداف قاعدة «البرج ٢٢» الأمريكية، التى تقع فى المنطقة الحدودية بين سوريا والأردن، نهاية يناير عام ٢٠٢٤م، من جانب الميليشيات الموالية لإيران، فقد وجّه خامنئى، فى اجتماع مجلس الأمن القومى الإيرانى، بتجنب إشعال حرب مباشرة مع الولايات المتحدة، وإبعاد إيران عن تصرفات الوكلاء الذى نفّذوا الهجوم على القاعدة الأمريكية، وربما جاء إعلان كتائب «حزب الله» العراقى بعد ذلك مسئوليتها عن الحادث، بإيعاز من طهران، بعد زيارة سرية لقائد فيلق القدس إسماعيل قانئى إلى بغداد، بغية تجنب أى رد فعل أمريكى مباشر ضد إيران، وهو ما جرى فعلياً بعد ذلك باستهداف واشنطن مقارّاً تابعة للميليشيات الولائية فى المنطقة الحدودية بين العراق وسوريا، وليس إيران نفسها.

كما طبّقت طهران الأمر نفسه عندما تعرّض حليفها فى اليمن، جماعة الحوثى، لضربات من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا، فى إطار ما يُسمّى «عملية حارس الازدهار»، التى انطلقت منذ ديسمبر عام ٢٠٢٣م، إذ تُشير التقديرات إلى إحجام القطع الحربية الإيرانية الموجودة عند سواحل البحر الأحمر الجنوبية، ومنها



تأثير عملية «طوفان الأقصى» على الدور الإيراني في المنطقة العربية

شريف هريدي

مرقت زكريا

القسم الأول

دراسات استراتيجية

أكتوبر عام ٢٠٢٣م، الذي أسفر عن مقتل نحو ٥٠٠ مدني، واستمرار دعم الإدارة الأمريكية السابقة للرئيس جو بايدن اللامحدود لإسرائيل، أسفر عن دخول الميليشيات الولائية في العراق وسوريا على خط المواجهة، باستهداف القواعد الأمريكية في كلا البلدين.

وكانت البداية باستهداف قاعدة «عين الأسد» الجوية، في محافظة الأنبار العراقية، وقاعدة «حرير» الجوية في إقليم كردستان العراق، بالطائرات المسييرة، في ١٨ أكتوبر عام ٢٠٢٣م، دون الإبلاغ عن خسائر بشرية، وقد أعلن ما يُسمّى «تشكيل الوارثين»، وهو فصيل مسلح يتبع حركة حزب الله النجباء العراقية، التي تتلقى أوامرها بشكل مباشر من فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، مسؤوليتها عن الحادث^(٩).

وأعقب ذلك استهدافات متكررة لقواعد أمريكية أخرى في العراق وسوريا، أبرزها قاعدة حقيل «كونيكو» الغازي، بريف دير الزور في شمال شرق سوريا، وكذلك قاعدة «التف» العسكرية، التابعة للتحالف الدولي لمواجهة داعش، في المثلث الحدودي بين سوريا والأردن والعراق، وكان يقوم بتنفيذ الهجمات ما أطلق عليه اسم «المقاومة الإسلامية في العراق»، وهو تشكيل من مجموعات مسلحة موالية لإيران، نشأ كجبهة إسناد للفصائل الفلسطينية في حربها مع إسرائيل، بعد اندلاع عملية «طوفان الأقصى»، في ٧ أكتوبر عام ٢٠٢٣م.

وكان التحول الأهم بالنسبة لاستهداف الميليشيات الإيرانية للقواعد الأمريكية في المنطقة، حينما تم استهداف قاعدة «البرج ٢٢»، على الحدود السورية-الأردنية، الذي أسفر عن مقتل ثلاثة جنود أمريكيين، في نهاية يناير عام ٢٠٢٣م، ما يعني أن الخط الأحمر بالنسبة لواشنطن -والذي يُشار إليه بقتل جنود أمريكيين- قد تم تجاوزه من جانب ميليشيات إيران، التي كانت تحرص في تنفيذ الهجمات ضد القواعد الأمريكية، على ألا تؤدي إلى خسائر بشرية. وقد دفع ذلك واشنطن إلى تنفيذ هجمات ضد الميليشيات الإيرانية في المنطقة الحدودية بين العراق وسوريا، وتحديدًا في منطقة البوكمال والميادين والقائم وغيرها، وهي مناطق اعتادت الولايات المتحدة، وإسرائيل في بعض الأحيان، توجيه ضربات ضد ميليشيات إيران فيها^(١٠).

إسرائيل هي طائرات بدون طيار مُصمَّمة على غرار طائرات أبايل الإيرانية بدون طيار^(٧).

وأشار المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي دانيال هغاري، في ٢٨ يوليو عام ٢٠٢٤م، إلى أن الصاروخ الذي استخدمه حزب الله في الهجوم على مجدل شمس، كان من نوع «فلق ١» الإيراني الصنع، وهو صاروخ تم تطويره في التسعينيات، ويبلغ قطره ٤،٩ بوصة، وطوله ٢،٤ قدم، ويصل مداه لنحو ٦،٢ ميل^(٨).

٢- التصعيد العسكري مع إسرائيل: أسفرت عملية طوفان الأقصى عن دخول إسرائيل وإيران في مواجهات مباشرة، إذ استهدفت تل أبيب المبنى الملحق بالقنصلية الإيرانية في دمشق، في الأول من أبريل عام ٢٠٢٤م، وهو الهجوم الذي أدى إلى مقتل ١٦ شخصًا ينتمون للحرس الثوري الإيراني، أبرزهم قائد الحرس في سوريا العميد محمد رضا زاهدي، وهو ما ردّت عليه إيران في أول هجوم عسكري مباشر في تاريخها على إسرائيل يوم ١٢ أبريل عام ٢٠٢٤م في إطار عملية «الوعد الصادق ١»، من خلال هجمات صاروخية ومن خلال الطائرات المسييرة ضد إسرائيل، إلا أن العديد من التقييمات شككت في أي جدوى عسكرية لها، رغم أهميتها سياسيًا.

وواصلت إيران حالة التصعيد مع إسرائيل؛ حيث قامت بشنّ عملية «الوعد الصادق ٢» في الأول من أكتوبر لعام ٢٠٢٤م، التي أشارت إلى أنها جاءت كرد على اغتيال إسرائيل الرئيس الأسبق للمكتب السياسي لحركة حماس الفلسطينية إسماعيل هنية في طهران في أثناء حضوره حفل تنصيب الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان، في أواخر يوليو عام ٢٠٢٤م، وكذلك اغتيال الأمين العام لجماعة حزب الله حسن نصرالله والقائد في الحرس الثوري عباس نيلفروشان، وهو ما ردّت عليه تل أبيب في ٢٦ أكتوبر عام ٢٠٢٤م من خلال استهداف عدد من المواقع العسكرية داخل إيران، باستخدام نحو ١٠٠ مقاتلة، وأسفر عنها تعطيل جزء كبير من أنظمة الدفاع الجوي الإيرانية، واستهدف مركز أبحاث نووية في طهران، وغير ذلك، بحسب التصريحات الإسرائيلية.

٣- هجوم الوكلاء على القواعد العسكرية بالمنطقة العربية: أبدت الميليشيات الولائية في العراق وسوريا دعمها عملية «طوفان الأقصى» منذ اندلاعها، إلا أن حادث استهداف مستشفى المعمداني بوسط قطاع غزة، في ١٧

الإسلامي في قطاع غزة، وحزب الله في لبنان، بالإضافة للهجمات التي تم شنها ضد الحوثيين في اليمن. إذ أدت الحرب الإسرائيلية ضد حركتي حماس والجهاد الإسلامي في قطاع غزة، إلى تقويض القدرات العسكرية لهما، علاوة على اغتيال عدد كبير من القادة العسكريين والسياسيين. فوفقاً لإعلان مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو والمتحدث باسم الجيش الإسرائيلي، فقد تم تفكيك ٢٢ كتيبة من أصل ٢٤ كتيبة تتألف منها كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، كما تم استهداف «نصف» القيادة العسكرية للحركة، من بينهم ستة من قادة الألوية وأكثر من ٢٠ قائد كتيبة ونحو ١٥٠ قائد سرية، كما تقول إسرائيل إنها قضت على نحو ١٧ ألفاً من مقاتلي حماس، كما تم تدمير نحو ٨٠٪ من الأنفاق التابعة لحماس^(١٢). وبغض النظر عن دقة الإعلانات الإسرائيلية، فإن حماس قد تعرّضت لضربات موجعة أفقدتها قدرًا كبيرًا من السيطرة الميدانية، وهو ما بدا في قبولها إيقاف إطلاق النار، في منتصف يناير عام ٢٠٢٥م.

وبالتوازي مع ذلك، أسفرت المواجهات العسكرية بين إسرائيل وحزب الله اللبناني عن خسائر كبيرة في القدرات العسكرية للحزب، حيث أشار وزير الدفاع الإسرائيلي السابق يوآف جالانت، في نهاية أكتوبر عام ٢٠٢٤م، إلى أن القدرات المتبقية للذئاف والصواريخ التي يمتلكها حزب الله باتت في حدود ٢٠٪، وتُشير التقديرات الإسرائيلية إلى أن الحزب كان يمتلك نحو ٥٠ ألف صاروخ، قبل أكتوبر عام ٢٠٢٣م^(١٤)، في حين تُشير تقديرات غربية إلى أن الترسانة الصاروخية للحزب تصل إلى ١٥٠ ألف صاروخ^(١٥). يُضاف إلى ذلك مقتل عدد كبير من قيادات الصف الأول والثاني لحزب الله، وأبرزهم أمينه العام السابق حسن نصر الله وأمينه العام التالي له هاشم صفي الدين وأغلب قادة وحدة الرضوان النخبوية وأغلب قادة العمليات العسكرية ووحدات التسليح وغيرهم.

ونتيجة لاستمرار الحوثيين في تهديد الملاحة في البحر الأحمر، أطلقت الولايات المتحدة، في ١٨ ديسمبر عام ٢٠٢٣م، مبادرة لتشكيل تحالف عسكري بحري مُتعدد الجنسيات، بهدف التصدي للهجمات الحوثية في البحر الأحمر، فيما أطلق عليه اسم «حارس الازدهار»، تحت مظلة «القوات البحرية المشتركة» المتعددة الجنسيات، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، و«القوة ١٥٣» التابعة لها.

٤. تعطيل الحوثي للملاحة في البحر الأحمر: دخل الحوثيون على خط المواجهة بين إسرائيل وحماس، في نوفمبر عام ٢٠٢٣م، بإعلانهم استهداف السفن والناقلات التجارية المتجهة من وإلى إسرائيل، في البحر الأحمر، ومضيق باب المندب الاستراتيجي، والذي يمر من خلاله نحو ١٥٪ من حجم التجارة البحرية العالمية^(١١). ومع توسيع الضربات الأمريكية والبريطانية ضد معاقل الحوثيين في اليمن، في إطار ما يُسمّى عملية «حارس الازدهار»، نَحَت الجماعة مَنَحَى آخر باستهداف السفن الأمريكية والبريطانية.

وفي هذا السياق، قامت الجماعة الحوثية بالاستيلاء على سفينة «جلاكسي ليدر»، في ١٩ نوفمبر عام ٢٠٢٣م، المملوكة لرجل الأعمال الإسرائيلي إبراهيم أونغار، وأعلنت أن هذه العملية جاءت ردًا على استمرار «العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة». وقد تواصل استهداف الحوثيين السفن باستخدام الصواريخ الباليستية والبحرية إلى جانب الطائرات المُسيَّرة، سواء في البحر الأحمر أو في بحر العرب، وقد أعلنت الجماعة، في كلمة مُتلفزة لزعيمها عبد الملك الحوثي، في أغسطس ٢٠٢٤، أن عدد السفن المستهدفة وصل إلى ١٧٧ سفينة^(١٢).

وحققت إيران، من جرّاء تهديدات الحوثيين لحركة الملاحة في البحر الأحمر، عددًا من الأهداف: أولها التأثير سلبياً على الاقتصاد الإسرائيلي كجزء من حالة الإسناد لحماس وحزب الله في مواجهة إسرائيل، وثانيها تعطيل جزء من حركة الملاحة والتجارة الدولية للضغط على القوى الغربية، وثالثها تأكيد دخول البحر الأحمر ومضيق باب المندب كأوراق ضغط جديدة تعزّز من موقفها في أي مفاوضات مقبلة مع القوى الكبرى.

ثالثاً: تأثير عملية طوفان الأقصى على الدور الإيراني في المنطقة العربية

يمكن تسليط الضوء على أبرز التداعيات التي خلّفتها عملية طوفان الأقصى على إيران، على النحو التالي:

١- إضعاف الحلفاء: حيث أسفرت التداعيات التي خلّفتها عملية «طوفان الأقصى» عن تراجع الإمكانات والقدرات العسكرية لحلفاء إيران في المنطقة، وذلك نتيجة للهزّات العنيفة التي تعرّضت لها تلك الأذرع، في ضوء الحرب الإسرائيلية ضد حركتي حماس والجهد



تأثير عملية «طوفان الأقصى» على الدور الإيراني في المنطقة العربية

شريف هريدي

مرقت زكريا

القسم الأول

دراسات استراتيجية

٢- تراجع الدور الإقليمي لإيران: أسفرت الضربات العنيفة التي تعرض لها حلفاء إيران في المنطقة، بعد عملية طوفان الأقصى عن تآكل شبكة النفوذ الإيراني الإقليمية، والتي استمرت طهران عقوداً من الزمن، في بنائها وأنفقت عليها المليارات من أموال الشعب الإيراني. وهنا يمكن الإشارة إلى أن طهران أنفقت ما تقدره بعض التقييمات بـ ٥٠ مليار دولار على نفوذها في سوريا على سبيل المثال (١٩).

وبعد التراجع الكبير الذي مُنيت به شبكة الميليشيات الإيرانية في المنطقة، فقدت طهران جزءاً كبيراً من نفوذها الإقليمي، كما أن كلفة الهجمات ضدها باتت محدودة، وهو ما تم اختباره مرتين من قبل من جانب إسرائيل؛ الأولى في ١٩ أبريل عام ٢٠٢٤م عندما قصفت تل أبيب قاعدة «هشتم شكاري» الجوية بالقرب من محطة نطنز لتخصيب اليورانيوم، في إطار الرد على شن إيران هجمات - صاروخية وبالمسيرات - على إسرائيل بعد حادث استهداف القنصلية الإيرانية في دمشق، في الأول من أبريل عام ٢٠٢٤م، والثانية في ٢٦ أكتوبر من نفس العام، عندما شنت إسرائيل هجمات ضد عدد من المواقع العسكرية داخل إيران ردّاً على هجمات إيران على مواقع داخل إسرائيل، في ٣ من الشهر ذاته، ردّاً على اغتيال رئيس المكتب السياسي السابق لحركة حماس إسماعيل هنية في طهران، واغتيال الأمين العام السابق لحزب الله اللبناني حسن نصر الله والقائد بالحرس الثوري الإيراني عباس نيلفروشان (٢٠). والشاهد هنا، أن إسرائيل قد اختبرت مهاجمة إيران نفسها، ووجدت أن رد الفعل الإيراني محدود ويمكن احتواؤه، وهو ما ينتقص بالتالي من قوة ونفوذ إيران باعتبارها دولة ضعيفة لا تستطيع أن تدافع حتى عن نفسها عوضاً عن الدفاع عن حلفائها وأذرعها في المنطقة.

٣- توثيق العلاقات مع الدول العربية: كان من النتائج التي خلفها اندلاع عملية «طوفان الأقصى»، أن أرجأت التطبيع بين إسرائيل والمملكة العربية السعودية إلى أجل غير مُسمى، بل ربما يكون هذا الأمر هو الهدف الوحيد لإيران، وحماس بالضرورة، الذي تحقق جرّاء تلك العملية على المستوى الإقليمي. إذ كان يسير هذا التطبيع بخطى ثابتة قبل ٧ أكتوبر عام ٢٠٢٣م، إلى أن جاء هجوم حماس على إسرائيل مما زاد من التكلفة الأخلاقية والإنسانية،

ونتيجة لتحفظ الدول الغربية عن المشاركة في التحالف، والاقتصار على القيام بمهام المشاركة في تأمين الملاحة في البحر الأحمر في نطاق الاتحاد الأوروبي أو عمليات خاصة بكل دولة، وكذلك الرفض العربي عن المشاركة، اقتصر التحالف على عمليات عسكرية أمريكية وبريطانية ضد معازل الحوثيين العسكرية، إلى جانب الهجمات العسكرية التي شنتها إسرائيل ضد الحوثيين، والتي كان منها الغارات الإسرائيلية، في ١٠ يناير عام ٢٠٢٥م، على مواقع للحوثيين في صنعاء والحديدة وعمران (١٦).

يُضاف إلى ذلك، إعادة الإدارة الأمريكية الجديدة برئاسة دونالد ترامب تصنيف الحوثيين كمنظمة إرهابية أجنبية، وهي خطوة تؤشر إلى الرغبة في فرض عقوبات اقتصادية على الحوثيين وقادتهم، والمتعاملين معهم، بُغية تجفيف الموارد المالية لهم، بالإضافة إلى إعادة تقييم شامل للمساعدات الأمريكية لليمن، لاسيما في المناطق التي تخضع لسيطرة الحوثيين، والتي قد تستخدمها الجماعة في تمويل حملتها العسكرية ضد السفن في البحر الأحمر أو إسرائيل، حيث إن الولايات المتحدة هي صاحبة الحصّة الأكبر في خطة الاستجابة الإنسانية الأممية في اليمن (١٧).

بينما اتبعت الولايات المتحدة وإسرائيل نهجاً مختلفاً تجاه الفصائل المسلحة العراقية الموالية لإيران، وذلك من خلال الضغط السياسي على حكومة بغداد، بُغية تحييد التهديدات التي كانت تفرضها الميليشيات في العراق ضد القواعد الأمريكية وإسرائيل. وقد لوحظ انخفاض الهجمات التي كانت تشنّها ما يُسمّى «المقاومة الإسلامية في العراق» ضد إسرائيل والقواعد الأمريكية، ما يُؤشر إلى ضغوط مورست على تلك الفصائل المسلحة، سواء من الحكومة العراقية أو من إيران نفسها، تفادياً لإثارة غضب إدارة ترامب. كما جاءت زيارة رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني إلى طهران، في ٨ يناير عام ٢٠٢٥م، في إطار إقناع طهران، بحلّ الفصائل المسلحة الموالية لإيران، تفادياً لإثارة غضب ترامب، في حين رفضت طهران حل تلك الفصائل مقابل قبول تجميد نشاطها العسكري، وقد جرى الاتفاق على هذا الأمر وذلك خلال زيارة سرية أجراها قائد فيلق القدس إسماعيل قاتني إلى بغداد قبيل زيارة السوداني المُشار إليها (١٨).

الذرية، والصادر فى ١٩ نوفمبر ٢٠٢٤، إلى أن مخزون إيران من اليورانيوم المخصب بنسب مختلفة بلغ ٤, ٦٦٠ كيلوجرام، وهو ما يعادل ٣٢ ضعف الكمية المسموح بها فى الاتفاق النووى الموقع فى عام ٢٠١٥م، فى حين أن مخزون اليورانيوم المخصب بنسبة ٦٠٪ (وهى النسبة التى تقترب من النسبة اللازمة لإنتاج وقود يستخدم فى صناعة السلاح النووى وهى ٩٠٪)، بلغ ٣, ١٨٢ كيلوجرام، وهو ما يكفى لصناعة أربع قنابل نووية، إذا أُخذ قرار بذلك (٢٤).

ويُعزى اهتمام إيران بتسريع وتيرة تخصيب اليورانيوم، خلال الفترة الأخيرة، إلى أن البرنامج النووى أضحى بالنسبة لها «خط الدفاع المركزى»، بعد تآكل ما يُسمى «خط الدفاع الأمامى»، والمقصود به ميليشياتها فى المنطقة بعد «طوفان الأقصى»، ومن ثم أصبح البرنامج النووى هو ورقتها الأهم التى يمكن أن تساهم بها الأطراف الدولية، كما تهدد طهران بإمكان تغيير العقيدة النووية والاتجاه لإنتاج السلاح النووى (٢٥).

٥- الاهتمام بتحديث الترسانة التسليحية: كشفت المواجهات المباشرة بين إيران وإسرائيل، خلال شهرى أبريل وأكتوبر عام ٢٠٢٤، عن تراجع فى القدرات التسليحية الإيرانية سواء الدفاعية أو الهجومية، فى مقابل تفوق نظيرتها الإسرائيلية. ومن ثم فقد أولت طهران اهتماماً بتحديث وتعزيز الترسانة التسليحية، وقد تجلّى أول مؤشرات هذا الاتجاه المُحتمل فى رفع حكومة بزشكيان الموازنة المخصصة للإنفاق الدفاعى بنحو ٢٠٪ فى موازنة العام ٢٠٢٥م (٢٦).

وأشارت اتجاهات التسليح فى إيران خلال عام ٢٠٢٤م إلى استمرار اعتماد إيران على هيكلية القوة غير التقليدية التى تعتمد بشكل أساسى على برنامجى الصواريخ والطائرات المُسيّرة، وكان من أبرز الصواريخ التى تم إطلاقها خلال العام المُشار إليه، صاروخ باليستي متوسط المدى وهو صاروخ «خرمشر ٤»، الذى يصل مداه إلى ٢٠٠٠ كيلو متر، ويستطيع حمل ذخائر عنقودية تتيح استهداف مواقع عدّة (٢٧). يُضاف إلى ذلك الإعلان عن الصاروخ الباليستي «جهاد» الذى يعمل بالوقود الصّلب ويبلغ مداه التشغيلى ألف كيلومتر، بالإضافة للكشف عن صاروخ «اعتماد»، الذى يصل مداه إلى ١٧٠٠ كم (٢٨).

كما تم الكشف، خلال عرض عسكري فى ٢١ سبتمبر عام ٢٠٢٤م، عن طائرة مُسيّرة جديدة باسم «شاهد-

علاوة على التكلفة السياسية والاستراتيجية، أمام أى محاولة للتقارب بين السعودية وإسرائيل، ومن ثم فقد صرّحت الرياض، على لسان وزير الخارجية السعودى الأمير فيصل بن فرحان، فى الأول من نوفمبر عام ٢٠٢٤م، بأن «تطبيع بلاده العلاقات مع الجانب الإسرائيلى غير وارد حتى يتم التوصل لحل بشأن الدولة الفلسطينية» (٢١). وبالتوازي مع ذلك، سعت طهران إلى استثمار حالة الغضب الشعبى والرسمى من الممارسات الإسرائيلية فى قطاع غزة، إلى مزيد من توطيد علاقاتها مع الدول العربية، وهو مسار كانت قد بدأت به إيران، منذ عهد الرئيس السابق إبراهيم رئيسى، عندما تم توقيع اتفاق عودة العلاقات مع السعودية، فى ١٠ مارس عام ٢٠٢٣م، وقد شهدت تلك العلاقات بعض التحسّن عقب «طوفان الأقصى» إذ أجرى رئيسى، أول زيارة لرئيس إيرانى- منذ زيارة الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي فى عام ١٩٩٩م- إلى العاصمة السعودية، وذلك لحضور القمة العربية الإسلامية الطارئة التى عُقدت فى الرياض لبحث الممارسات الإسرائيلية فى غزة، فى نوفمبر عام ٢٠٢٣م، كما التقى الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان، بوزير الخارجية السعودى الأمير فيصل بن فرحان، بالدوحة، فى أكتوبر عام ٢٠٢٤م، والتى دعا فيها ولي العهد السعودى الأمير محمد بن سلمان لزيارة إيران.

يُضاف لذلك، أن مساعى التقارب الإيراني مع كل من البحرين والكويت ومصر والأردن والمغرب، قد شهدت تحسّناً ملحوظاً خلال السنتين الأخيرتين، والتى كان منها زيارة بزشكيان إلى مصر، فى ١٨ ديسمبر عام ٢٠٢٤م، كأول زيارة لرئيس إيرانى منذ نحو ١١ عاماً. هذا علاوة على العديد من الزيارات والاتصالات التى أجراها وزراء الخارجية الإيرانيون (الراحل حسين أمير عبد اللهيان، والسابق على باقرى كنى، والحالى عباس عراقجى)، إلى عديد من العواصم العربية، منذ عملية طوفان الأقصى، والتى تعدّت ١٠ زيارات، وعشرات الاتصالات الهاتفية، وهو ما يؤشر إلى تقارب إيرانى مع الدول العربية (٢٢).

٤- تسريع تطوير البرنامج النووى: قامت إيران، خلال الأشهر التى تلت اندلاع عملية «طوفان الأقصى»، بتسريع تخصيب اليورانيوم لديها (٢٣). وتجدر الإشارة إلى أن عام ٢٠٢٤م قد شهد تصعيداً لافتاً فى البرنامج النووى؛ إذ أشار التقرير الأحدث للوكالة الدولية للطاقة



تأثير عملية «طوفان الأقصى» على الدور الإيراني في المنطقة العربية

شريف هريدي

مرقت زكريا

وفى ضوء فشل محاولات إيران تهريب السلاح والدعم لحزب الله برًّا؛ فقد اتجهت إلى ذلك عن طريق الجو- من خلال مطار بيروت الدولي- إلا أن تلك المحاولات تعرّضت لقيود أيضًا فى ضوء منع السلطات اللبنانية هبوط طائرات إيرانية على وقع تهديدات إسرائيلية باستهدافها، مثلما حدث مع طائرات شركة «مهان إير» الإيرانية فى فبراير ٢٠٢٥م^(٢٢).

وفى ضوء الخسائر الكبيرة التى تعرّضت لها حركة حماس فى قطاع غزة؛ فقد سعت إيران إلى إعادة إنتاج الحركة فى الضفة الغربية، بما يضمن وجود بؤرة جديدة للصراع ضد إسرائيل من ناحية، ومن ناحية أخرى يمثل تهديدًا للأردن فى ضوء خلافه المكنوم مع إيران. وقد رفضت السلطات الفلسطينية فى الضفة أى نشاط لحماس يزعم أمن الضفة، وقامت بعمليات أمنية موسعة خاصة فى مدينة جنين^(٢٣).

كما تحاول إيران البحث عن بدائل تُعوّض جزءا من نفوذها الذى خسره فى سوريا، بعد الإطاحة بنظام الرئيس السوري السابق بشار الأسد، الذى مثّل خسارة استراتيجية بالنسبة لإيران، وذلك من خلال دعم بعض الأقليات السورية التى يُحتمل ألا تكون على وفاق مع الإدارة الجديدة فى دمشق، منهم الأكراد والعلويون وفلول النظام السابق، وتجدر الإشارة إلى أن بعض المصادر الإعلامية أشارت إلى موافقة طهران على دعم حزب العمال الكردستاني، بـ ١٠٠ طائرة مُسيّرة لمواجهة العمليات العسكرية المدعومة من تركيا فى شمال سوريا^(٢٤).

٢- البحث عن جبهات جديدة: فى ضوء محدودية نجاعة استمرار دعم إيران وكلاءها فى المنطقة، لاسيما فى لبنان وقطاع غزة، وكذلك ما يتعلق باستعادة جزء من نفوذها الذى تهاوى فى سوريا، خاصة فى ضوء رفض تل أبيب أى نوع من الدعم الإيراني لحزب الله أو الفصائل المسلحة الفلسطينية، وتحول سوريا- التى كانت حليفًا لطهران- إلى خصم لها، فإن الأخيرة قد تلجأ إلى البحث عن مساحات جديدة للنفوذ بعيدًا عن المشرق العربى، ومن هذه المناطق المُرشحة السودان؛ خاصة فى ضوء العلاقات المتنامية بين طهران والجيش السودانى بقيادة الفريق أول عبد الفتاح البرهان، خلال الأشهر الماضية، بعد أن تم استعادة العلاقات الدبلوماسية بين إيران والسودان، فى يونيو ٢٠٢٣م، وكذلك الزيارات واللقاءات

١٣٦ بى» وهى نسخة مطورة من طائرة «شاهد-١٣٦»، مع ميزات جديدة ومدى تشغيلى يزيد عن ٤٠٠٠ كيلومتر، وكذلك المُسيّرة «رضوان» التى يبلغ مداها ٢٠ كم^(٢٩).

ومن جهة أخرى، فقد شهد البرنامج الفضائى الإيرانى تقدمًا ملحوظًا خلال عام ٢٠٢٤م، حيث أطلقت طهران عددًا كبيرًا من الأقمار الاصطناعية، مقارنة بالسنوات الماضية، إذ تم إطلاق ثلاثة أقمار فى بداية ٢٠٢٤م، وهى «كيهان-٢» و«هاتف-١»، و«مهدا»، إلى جانب القمر «جمران-١» فى سبتمبر ٢٠٢٤م، كما أطلقت أقمارًا أخرى بمشاركة روسيا مثل القمرين «هدهد» و«كوثر»، فى نوفمبر من العام نفسه^(٣٠).

وينبع التخوف الرئيسى من البرنامج الفضائى لإيران من سببين: الأول هو افتراض أن تكون تلك الأقمار ذات مهام تجسسية استخبارارية على مواقع من تُعدّهم إيران خصوصًا لها، والثانى هو أن الحوامل الخاصة بتلك الأقمار التى تنقلها إلى مدارها حول الأرض، هى فى الأساس صواريخ بعيدة المدى، قد تُستخدم فى نقل رؤوس نووية، حال تم إجراء تعديلات تقنية عليها.

رابعًا: أبرز ملامح مستقبل الدور الإيرانى بالمنطقة العربية

ثمة ملامح عدة لمستقبل الدور الإيرانى بالمنطقة العربية يمكن توضيحها فيما يلى:

١- الاستمرار فى دعم الوكلاء: ليس من الوارد أن تتخلى إيران عن أذرعها فى المنطقة، رغم ما تعرضت له الأخيرة من تراجع غير مسبوق فى قدراتها العسكرية والسياسية، وفى ضوء ذلك، يُرجّح أن تستمر طهران فى دعم حليفها فى اليمن (جماعة الحوثى)، وكذلك الميليشيات المسلحة فى العراق، باعتبارهما الوكيلين المتبقين لإيران فى المنطقة بقدرات عسكرية لم تتأثر نسبيًا بشكل كبير.

كما يُرجّح أن تستمر طهران فى تقديم الدعم لباقي الوكلاء الذين تعرضوا لخسائر كبيرة، من خلال إيجاد صيغ مختلفة لتقديم هذا الدعم المُحتمل. والشاهد على ذلك؛ محاولات إيران المتكررة لتقديم الدعم المادى واللوجستى لحزب الله اللبنانى، عبر الأراضى السورية، إلا أن تلك المحاولات تبوء بالفشل، وذلك لسببين: أولهما تعقب إسرائيل تلك المحاولات وتنفيذ ضربات على الحدود السورية- اللبنانية لمنعها، وثانيهما هو حرص الإدارة السورية الجديدة على إفشال تلك المحاولات^(٣١).

كما قد تمثل ليبيا وجهة مُحتملة أيضًا لإيران، وذلك في ضوء العلاقات المتنامية بين طهران وموسكو التي تُعد أحد أبرز اللاعبين الدوليين في الشرق الليبي، والدعم الإيراني لروسيا في حربها ضد أوكرانيا، ما قد يعزز من فرص حضور إيران هناك أيضًا، وتكمن أهمية السواحل الليبية بالنسبة لإيران في إيجاد موطئ قدم على البحر المتوسط، علاوة على قربها من الحدود مع إسرائيل، علاوة على أنه يمثل فرصة غير مسبقة للتمدد الإيراني في إفريقيا اقتصاديًا وثقافيًا.

٣. **مُوصلة الانفتاح على الدول العربية : من المُرجح** استمرار إيران في تعزيز علاقاتها مع الدول العربية، خلال الفترة المقبلة، وذلك في ضوء حرصها على استكمال مسار الانفتاح والتقارب مع دول المنطقة، لتحقيق عدد من الأهداف التي يتمثل أبرزها في: ضمان نوع من الحضور في المنطقة العربية، والتي كانت دائمًا على رأس اهتمام صانع القرار الإيراني، ولو بشكل دبلوماسي وسياسي، خاصة في الوقت الذي فقدت فيه إيران الكثير من نفوذها الإقليمي ولاسيما على الصعيد العسكري، والحيولة دون توظيف الولايات المتحدة وإسرائيل لجيران إيران في محاصرة الأخيرة وفرض التهديدات ضدها، وتخفيف الآثار السلبية التي تفرضها العقوبات الأمريكية والأوروبية المفروضة عليها، اقتصاديًا وسياسيًا.

ويمكن التدليل على نجاح تلك الاستراتيجية لإيران، خاصة ما يتعلق منها بتحجيد الأطراف العربية عن الصراع الدائر بين إيران من جانب وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية من جانب آخر، في الموقف الذي اتخذته بعض دول الخليج العربي، تجاه الهجمات التي شنتها إسرائيل ضد إيران في ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٤م، إذ رفضت تلك الدول أي استخدام لأراضيها أو مجالها الجوي في شن هجمات ضد إيران (٢٧).

لذا، ليس من الوارد أن تخسر طهران هذه الورقة، خاصة في ضوء محاولات إسرائيل استغلالها لمصلحتها ضد إيران، لاسيما بعد عودة ترامب إلى البيت الأبيض مرة أخرى، الذي يسعى لتطبيع العلاقات بين إسرائيل وجيرانها في المنطقة العربية، وتشكيل تحالف ضد إيران، وهي الدعوة التي أطلقها خلال رئاسته الأولى في الفترة من (٢٠١٧-٢٠٢١م).

التي جرت بين الجانبين خلال الفترة الأخيرة، والتي كان أحدثها زيارة وزير الخارجية السوداني على يوسف أحمد الشريف، إلى طهران، منتصف فبراير ٢٠٢٥م، ولقاؤه نظيره الإيراني عباس عراقجي والرئيس الإيراني مسعود بزشكيان، وبحث تعزيز العلاقات بين الجانبين.

كما أشارت تقارير عدّة إلى أن إيران قد زوّدت الجيش السوداني بطائرات مسيّرة، خاصة من طراز مهاجر ٦، بالإضافة لأنواع أخرى من الأسلحة والذخائر، وأن طهران طلبت من الجيش السوداني في مقابل ذلك الحصول على إذن لإقامة قاعدة عسكرية بحرية في مدينة بورتسودان على البحر الأحمر، ورغم نفي الجيش السوداني تلك التقارير، فإنها قد تحمل بعض الوجهة، خاصة في ضوء موافقة الجيش على إقامة قاعدة روسية في بورتسودان (٢٥)، بالنظر لما يربط طهران بموسكو من علاقات وثيقة.

كما تمثل إريتريا جبهة مُحتملة أيضًا بالنسبة لإيران؛ وذلك في ضوء ما تُشير إليه بعض التقارير من امتلاك طهران قاعدة بحرية عسكرية بالقرب من ميناء عصب الإريتري، في قطاع صحراوي منعزل في شمال إريتريا، بالقرب من الحدود مع جيبوتي، وقد نقلت طهران إلى تلك القاعدة سُفنًا وغواصات وجنودًا ومعدات عسكرية وصواريخ باليستية، ويستخدم الإيرانيون الطائرات المسيّرة في حماية تلك القاعدة.

وفي ضوء العلاقات المتنامية بين الجانبين الإيراني والإريتري، والعداء بين الأخيرة وإسرائيل، فقد توظف طهران علاقاتها بأسمرة، في مزيد من النفوذ والوجود عند سواحل البحر الأحمر، بما قد يسمح بإيجاد بديل عن سوريا، كممر لتزويد السلاح من إيران إلى وكيلها في لبنان حزب الله، إذ قد تستخدم إيران الموانئ في إريتريا في تهريب السلاح عبر البحر الأحمر إلى الفصائل الفلسطينية وحزب الله اللبناني، بعد خسارة سوريا.

وجدير بالذكر أن إريتريا من الدول المؤيدة لإيران وأذرعها في المنطقة، إذ لم تُبدِ أي إدانة للهجمات التي يشنها الحوثيون ضد السفن والناقلات في البحر الأحمر، كما تنتقد إسرائيل والولايات المتحدة دائمًا. كما أن فرص التعاون بين إيران وإريتريا قد تكون مفتوحة بالنظر للعقوبات التي يعانيها الطرفان، وحاجة أسمرة للسلاح من إيران، وحاجة الأخيرة لموطئ قدم لها على سواحل البحر الأحمر (٢٦).



روسيا اتفاق شراكة شاملة لمدة ٢٠ عامًا، في ١٧ يناير ٢٠٢٥م، خلال لقاء جمع بين بزشكيان ونظيره الروسى فلاديمير بوتين في موسكو^(٤٠)، وذلك على غرار اتفاق التعاون الشامل الذى وقّعه إيران مع الصين، فى مارس ٢٠٢١م لمدة ٢٥ عامًا.

كما انضمت إيران إلى تجمع «بريكس»، وبدأت عضويتها رسميًا فى التجمع الذى ضمّ إلى جانب روسيا والصين والهند والبرازيل وجنوب إفريقيا، كلاً من دولة الإمارات وإيران ومصر وإثيوبيا وإندونيسيا منذ يناير ٢٠٢٥م^(٤١)، وبذلك يضاف انضمام إيران إلى تجمع «بريكس» إلى جانب انضمامها قبل ذلك إلى منظمة شنغهاى للتعاون فى يوليو ٢٠٢٢م.

ويُنظر إلى الشراكات التى تعقدها إيران مع القوى الكبرى على أنها البعد الدولى لنفوذها الخارجى، فإذا كانت جماعات ما يُسمّى «محور المقاومة»، هى البعد الإقليمى لهذا النفوذ، فإن تقوية علاقاتها بالقوى الكبرى هو البعد الدولى، وهو حائط الصد الذى تسعى إيران من خلاله لتخفيف أثر العقوبات المفروضة عليها، رغم تشكيك العديد من التقييمات، بما فيها تقييمات إيرانية، فى جدوى تلك الشراكات ونجاحاتها فى التخفيف من أثر العقوبات الغربية.

أهم الاستنتاجات:

١- أسفرت نتائج عملية «طوفان الأقصى» عن تآكل ما يُسمّى «خط الدفاع الأمامى» لإيران، وتراجع نفوذها الإقليمى بشكل غير مسبوق، وهو أمر لا شك سيكون له تأثيرات ممتدة المفعول على سلوكها تجاه منطقة الشرق الأوسط.

٢- ليس من الوارد أن تتخلى إيران عن نفوذها الإقليمى المتهوى؛ بل يُرجّح أن تسعى لإعادة إحيائه مرة أخرى، سواء من خلال محاولة بناء قدرات الجماعات المسلحة التى تضررت عقب «طوفان الأقصى»، أو محاولة إيجاد بدائل لها فى مناطق أخرى مثل السودان وليبيا وإريتريا وغيرها.

٣- من المحتمل أن تستغرق عملية إعادة بناء إيران نفوذها فى الإقليم مرة أخرى وقتاً طويلاً، وهو ما قد يفرض «كموناً استراتيجياً» لإيران، وربما يدفع ذلك طهران إلى الانكفاء على الداخل، إلا أن ذلك سوف يكون لفترة معينة من الزمن، حيث إن القيم والركائز

٤- التهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية: تحاول إيران، منذ انتخاب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة فى نوفمبر ٢٠٢٤م، التهدة مع واشنطن، نقادياً لإثارة غضبه، ولاسيما أنه انسحب من الاتفاق النووى فى مايو ٢٠١٨م، وفرض على إيران ما يُسمّى سياسة «الضغط القصوى»، من خلال توقيع حزم متتابعة من العقوبات التى استهدفت القطاعات الرئيسية للاقتصاد الإيرانى، وعلى رأسه القطاع النفطى، كما أمر باغتيال قائد فيلق القدس السابق قاسم سليماني، فى مطلع يناير ٢٠٢٠م، بالقرب من مطار بغداد، فى أثناء زيارة له إلى العراق.

وقد بدا ذلك، فى ترايد التصريحات من جانب المسؤولين الإيرانيين بالاستعداد للعودة للتفاوض مع القوى الكبرى حول البرنامج النووى، سواء من طرف الرئيس بزشكيان أو وزير خارجيته عراقجى أو مستشار المرشد على لاريجاني وغيرهم من كبار المسؤولين الإيرانيين، بل إن المرشد الإيرانى خامنئى قد أشار إلى إمكان التفاوض مع واشنطن^(٢٨)، فى استدعاء للموافقة التى كان أطلقها قبل توقيع الاتفاق النووى فى ٢٠١٥م، التى سمّاها «المرونة البطولية»، أو جملة المرشد الأول لإيران ومؤسس نظامها الحالى آية الله الخمينى، عندما أعلن قبوله إيقاف إطلاق النار مع العراق، بـ «تجرّع كأس السم».

ويعزز من ذلك؛ الإشارات التى أطلقها ترامب، منذ حملته الانتخابية، باستعداده للتفاوض مع إيران، والتوصل معها إلى اتفاق، وأنه لا يسعى إلا لمنعها من امتلاك سلاح نووى، ويرتبط بذلك أيضاً ما أشارت إليه بعض التقارير عن لقاء جمّع رجل الأعمال الأمريكى ومستشار ترامب إيلون ماسك، بمندوب إيران فى الأمم المتحدة سعيد إيروانى، منتصف نوفمبر ٢٠٢٤م، بشكل سرى، مشيرة إلى أن اللقاء كان «إيجابياً»، ورغم إحجام الجانب الأمريكى عن تأكيد أو نفي اللقاء^(٢٩)، وكذلك نفي عراقجى، عقده، إلا أن ذلك لا يقلّص من احتمال عقد اللقاء بشكل فعلى، فى ضوء رغبة الطرفين التوصل لحل للأزمة النووية الإيرانية.

٥- مواصلة تعزيز الشراكات مع القوى الكبرى: فى ضوء الضغوط المتزايدة على إيران من جانب القوى الغربية وإسرائيل، فقد لجأت طهران إلى تعزيز شراكاتها الاقتصادية والسياسية مع القوى الكبرى غير الغربية؛ وتحديداً روسيا والصين، إذ وقّعت إيران مع

- دراسة إمكان دعوة جامعة الدول العربية لتشكيل لجنة مشتركة للدول المطلة على البحر الأحمر يكون بإمكانها التنسيق مع القوى الكبرى الفاعلة في هذا الممر المائي للحد من تهديدات أطماع بعض القوى الإقليمية مثل إيران للسيطرة عليه.
- بذل المزيد من الجهود باتجاه دمج الجماعات المسلحة التابعة لإيران بالمنطقة في الجيوش النظامية.

٢- على المستوى السياسي

- بحث إمكان توسيع تحالف الشام الجديد ليشمل سوريا ولبنان إلى جانب مصر والعراق والأردن.
- تشكيل لجنة في إطار جامعة الدول العربية تختص بمتابعة دول الأزمات خاصة (ليبيا والسودان) والتفاهم مع الأطراف الخارجية المنخرطة فيها من أجل تسريع عملية التسوية.
- ضرورة أن تضطلع الدول العربية ولاسيما الخليجية بدور في المفاوضات النووية بين إيران ومجموعة (١٤) والولايات المتحدة الأمريكية ولاسيما الجانب المتعلق بنفوذها الإقليمي في المنطقة.
- محاولة الجامعة تعزيز دور الدول الوطنية في العواصم العربية التي يوجد بها وكلاء لإيران، بما يُحدّ من التداعيات المباشرة التي يمكن أن يفرضها تهديد هذه الجماعات للأمن القومي لهذه الدول.

٣- على المستوى الاقتصادي

- ضرورة تعزيز التكامل الاقتصادي بين الدول العربية، باتجاه تخفيف التداعيات الناشئة عن الأزمات الاقتصادية العالمية مثل الحرب الأوكرانية.
- بحث إمكان مفاوضات إيران على الحد من دور الجماعات المسلحة التابعة لها بالمنطقة مقابل تطوير العلاقات الاقتصادية معها.
- اتجاه الدول العربية لتعزيز الشراكات الاقتصادية مع القوى الكبرى لتجنب حدوث المزيد من التوترات والحد من حالة عدم الاستقرار.

التي أسس على أثرها النظام الحالي في إيران لا يصح معها الانكفاء على الداخل، وإلا انهار وسقط.

٤- من المرجح أن تستمر طهران في نهج الانفتاح والتقارب مع دول المنطقة العربية، باعتبار هذا خياراً استراتيجياً بالنسبة لها، يضمن لها الحد من العزلة الاقتصادية والسياسية المفروضة عليها من جانب الغرب من ناحية، وعدم توظيف هذا الأخير للجوار العربي لإيران في إحكام الحصار وفرض الضغوط عليها من ناحية أخرى.

٥- تواجه إيران تهديدات جدية على أثر عملية «طوفان الأقصى»، فلأول مرة تشعر طهران بأنها مستهدفة بشكل حقيقي، سواء من جانب إسرائيل بشكل منفرد، أو بدعم من الولايات المتحدة، وفي القلب من هذه التهديدات برنامجها النووي، وكذلك قدراتها الصاروخية، بل باتت مسألة إسقاط النظام أكثر ترديداً في تل أبيب والعواصم الغربية عن ذي قبل.

٦- ليس من الواضح بعد مصير الاتفاق النووي؛ إلا أن انتهاء مفاعيل الاتفاق في ١٨ أكتوبر ٢٠٢٥م، سوف يفرض على طهران، إيجاد حل لتلك الأزمة مع الغرب، وسوف يكون لشكل هذا الحل المحتمل تأثيره على سلوك إيران على المنطقة العربية، سواء من خلال التصعيد أو التهدئة.

أهم المقترحات للدول العربية لمواجهة الدور الإيراني:

١- على المستوى الأمني العسكري

- بحث إمكان تشكيل لجنة في إطار جامعة الدول العربية للتنسيق بشأن التهديدات الجديدة الناشئة بعد عملية طوفان الأقصى خاصة من قبل القوى الإقليمية (إسرائيل، وإيران، وتركيا).
- ضرورة اتجاه الدول العربية لتعزيز قدراتها العسكرية بما يتناسب مع الناتج القومي الإجمالي لمواكبة التحديات الأمنية التي بات يفرضها تصاعد معدل التوترات بالمنطقة.



المواش:

- (1) Phillip Smyth, The Path to October 7: How Iran Built Up and Managed a Palestinian 'Axis of Resistance', Vol 6, issue 11, 2023, CTCSENTINEL, PP 25-40.
- (2) Edward Wastnidge, Reinforcing the Resistance: Iran and the Levant in a Multipolar Middle East, Middle East Policy, vol 31, No 53, pp 57-60.
- (3) Arash Azizi, what do Iranians think of Israel? Their views might surprise you, Atlantic Council, October 13, 2023. <https://www.atlanticcouncil.org/blogs/iransource/israel-hamas-iran-views/> (18 Jan 2025)
- (4) Edward Wastnidge, Op.cit, pp 64-67.
- (5) Mustafa Caner, Understanding Iran's Position in the Post-October 7 Middle East, Insight Turkey, Vol. 26 / No. 4 Jan 2025, pp. 23-36.
- (6) Burhanettin Duran, Is Iran strengthening or becoming isolated? Daily Sabah, 24 January 2024, pp 1-3.
- (7) Frud Bezhan, the 'Kamikaze' Drones Iran Used to Attack Israel, Radio free Europe, April 14, 2024. <https://www.rferl.org/a/iran-shahed-drones-israel-attack/32904882.html> (20 Jan 2025)
- (8) Hezbollah's Iranian Arms, United States Institute for Peace, August 1, 2024. <https://iranprimer.usip.org/blog/2024/jul/31/hezbollah%E2%80%99s-iranian-arms> (23 Jan 2025)
- (9) Amir al-Kaabi, Hamdi Malik, Michael Knights, Signs of Iranian Coordination in Iraqi Base Attacks and Messaging, Washington Institute, Oct 18, 2023. <https://tinyurl.com/wt6tfw4y> (24 Jan 2025)
- (10) Laura Buoninconti, Ripple effect: How Israel's war in Gaza sent shockwaves to Iraq, International Analysis and commentary, Apr 27, 2024. [https://aspennonline.it/ripple-effect-how-israels-war-in-gaza-sent-shockwaves-to-iraq/\(27Feb2025\)](https://aspennonline.it/ripple-effect-how-israels-war-in-gaza-sent-shockwaves-to-iraq/(27Feb2025))
(١١) مصطفى هاشم، تهديدات باب المندب.. ماذا ينتظر الاقتصاد العالمي؟، موقع قناة الحرة، ١٧ ديسمبر ٢٠٢٣م. <https://tinyurl.com/yp3cw4tr> (27 Jan 2025)
- (١٢) الحوثي: ارتفاع عدد السفن المستهدفة دعمًا لغزة إلى ١٧٧، وكالة الأناضول، ٨ أغسطس ٢٠٢٤م. <https://tinyurl.com/z639xdjn> (25 Jan 2025)
- (13) Ido Levy, Hamas Is Weakened, But a Prolonged Guerrilla Conflict Looms, Sep 12, 2024. <https://tinyurl.com/23xebkz9> (25 Jan 2025)
- (14) YONAH JEREMY BOB, JERUSALEM POST STAFF, Gallant: Hezbollah rocket arsenal down to 20%; Disagreements about how long to continue invasion, The Jerusalem Post, OCTOBER 29, 2024. <https://tinyurl.com/yb9uybrx> (25 Jan 2025)
- (15) Seth G. Jones, Daniel Byman, Alexander Palmer, and Riley McCabe, The Coming Conflict with Hezbollah, Center for Strategic and International Studies, March 21, 2024. <https://tinyurl.com/mrazj3jz> (26 Jan 2025)
- (16) The Israeli army announces launching several raids on Houthi sites.. and the Yemeni rebels comment, The Guardian, January 10, 2025. <https://tinyurl.com/yvynxfv> (27 Jan 2025)
- (17) Eleonora Ardemagni, How Trump can deliver on disrupting Red Sea weapons smuggling by the Houthis, Atlantic Council, February 21, 2025. <https://tinyurl.com/27um9zmp> (26 Jan 2025)
- (١٨) مستقبل الحشد الشعبي رهن التجاذبات مع ترويج السوداني لـ «استراتيجية جديدة» في طهران، وكالة أمواج، ١٠ يناير ٢٠٢٥م. <https://tinyurl.com/v9p7yc7f> (20 Jan 2025)
- (19) Matthew Campbell, Iran has lost Assad — and with him \$50bn, The Times, Dec 15, 2024. <https://tinyurl.com/2cuaasfc> (20 Feb 2025)
- (20) Mustafa Caner, Op.Cit, p 33.
- (21) Countering Trump, Saudi Arabia says no Israel normalization without Palestinian state, The Times of Israel, February 5, 2025. <https://tinyurl.com/563hrvnp> (21 Feb 2025)
- (22) Edward Wastnidge, Op.Cit, pp 61-64.

الهوامش :

- (23) Iran prisoner swap for \$6 billion in spotlight after Hamas attacks Israel, Reuters, October 9, 2023, <https://tinyurl.com/f2mwuh8t> (21 Feb 2025)
- (24) Iran defies international pressure, increasing its stockpile of near weapons-grade uranium, UN says, Associated Press News, November 20, 2024. <https://tinyurl.com/2vykvj9r> (22 Feb 2025)
- (٢٥) واكواياظهارات مهم كمالخرازي / ايران سلاح اتميميسازد؟ / چرا سخنان خرازيبا اظهارات كرميقدوسي متفاوت است؟، موقع تانباك الإيراني، ١٤ مايو ٢٠٢٤. <https://tinyurl.com/5e42e88n> (22 Feb 2025)
- (٢٦) توضيحاتسنگويستاد بودجه دربارهاافزايش بودجه دفاعي، دنياي اقتصاد، ٢ نوفمبر ٢٠٢٤. <https://tinyurl.com/uf6kdjn7> (22 Feb 2025)
- (27) (VIDEO) Iran Conducts Test Launch of Intercontinental Ballistic Missile (ICBM)?, Defence Security Asia, Nov9, 2024. <https://tinyurl.com/2p6s54mw> (22 Feb 2025)
- (٢٨) رونمايي از موشكبالستيک "اعتماد" و ديگردستاوردهايدفاعي، صحيفة كيهان الإيرانية، ٢ فبراير ٢٠٢٤. <https://tinyurl.com/yr38xh3j> (20 Feb 2025)
- (٢٩) "رضوان" أحدث طائرة مسيرة انتحارية إيرانية، وكالة إرنا، ١١ يناير ٢٠٢٥. <https://tinyurl.com/4k5ebeyw> (25 Feb 2025)
- (30) Iran says it successfully launched a satellite in its program criticized by West over missile fears, AP News, September 15, 2024. <https://tinyurl.com/yc8dvn5w> (25 Feb 2025)
- (٣١) قصف إسرائيلي لحدود لبنان وسوريا لمنع تهريب سلاح حزب الله، قناة الحرية، ٢٣ فبراير ٢٠٢٥. <https://tinyurl.com/665yrm7j> (25 Feb 2025)
- (٣٢) أنصار حزب الله يحتجون إثر منع لبنان لطائرة إيرانية من الهبوط في مطار بيروت، موقع بي بي سي، ١٦ فبراير ٢٠٢٥. <https://tinyurl.com/5sjtxstw> (19 Feb 2025)
- (33) Ehud Yaari, Hamas and Iran Are Trying to Ignite Israel's Eastern Fronts, Washington Institute, Jun 20, 2024. <https://tinyurl.com/jku3tz2e> (19 Feb 2025)
- (٣٤) صحيفة تركية مقرية من أردوغان: إيران ستزود الأكراد في سوريا بطائرات مُسرَّبة، مونت كارلو، ١٣ يناير ٢٠٢٥. <https://tinyurl.com/hksnx799> (19 Feb 2025)
- (35) Nicholas Bariyo, Benoit Faucon, Iran Tried to Persuade Sudan to Allow Naval Base on Its Red Sea Coast, The Wall Street Journal, March 3, 2024. <https://tinyurl.com/y6wbse2y> (20 Feb 2025)
- (36) Habtom Ghebregziabher, Eritrea Has Become Iran's Proxy – and a Strategic Threat to Israel and the U.S., Haaretz, Jan 16, 2025. <https://tinyurl.com/4sexhpm7> (23 Feb 2025)
- (٣٧) بعد رفض دول خليجية السماح لإسرائيل باستخدام مجالها الجوي: هل تستطيع تل أبيب تنفيذ ضربات ضد إيران؟، مونت كارلو، ١١ أكتوبر ٢٠٢٤. <https://tinyurl.com/2zf2w2hx> (24 Feb 2025)
- (٣٨) خامنئي يوافق ضمناً على مفاوضات سرية مع إدارة ترامب، مرصد الشرق الأوسط وشمال إفريقيا الإعلامي، ٣٠ يناير، ٢٠٢٥. <https://tinyurl.com/3wh4vbfz> (24 Feb 2025)
- (39) Elon Musk Met with Iran's U.N. Ambassador, Iranian Officials Say, The New York Times, Nov. 14, 2024. <https://tinyurl.com/w3hb38hn> (24 Feb 2025)
- (٤٠) متن كاملتوافقنامه جامع راهبردی ايران و روسيه، موقع رئاسة الجمهورية الإيرانية، ١٧ يناير ٢٠٢٥. <https://tinyurl.com/2s47r2z7> (24 Feb 2025)
- (٤١) نخستين حضور رسمي ايران در اجلاس بريكس به ميزبانيمسكو، موقع وزارة الخارجية الإيرانية. <https://tinyurl.com/36b8nh8r> (23 Feb 2025)



تأثير عملية «طوفان الأقصى» على الدور الإيراني في المنطقة العربية

شريف هريدي

مرقت زكريا

تأثير عملية «طوفان الأقصى» على الدور الإيراني في المنطقة العربية

■ مرقت زكريا

باحثة في الدراسات الإيرانية- طالبة دكتوراه بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة

■ شريف هريدي

باحث في الدراسات الإيرانية- طالب ماجستير بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة

المستخلص:

تتناول الدراسة تأثير عملية طوفان الأقصى على دور إيران تجاه المنطقة العربية وحدود هذا التأثير، مع تسليط الضوء على أهداف إيران التي سعت لتحقيقها جراء تلك العملية، سواء ما يتعلق منها بدورها الإقليمي أو محاولة التشكيك في مفهوم الردع لدى إسرائيل، كما تقف الدراسة على ملامح الدور الإيراني في دعم طوفان الأقصى، من خلال تفعيل ما يُسمى بـ "وحدة الساحات"، ودخول حزب الله على خط المواجهة مع إسرائيل منذ الأيام الأولى لاندلاع طوفان الأقصى، وكذلك استهداف القواعد الأمريكية في المنطقة، وتعطيل الملاحة في البحر الأحمر من خلال تهديدات الحوثيين في اليمن، بالإضافة إلى تقييم الانعكاسات المحتملة لعملية طوفان الأقصى على إيران، والتي شملت تراجع نفوذ إيران الإقليمي، وتآكل شبكة ميليشياتها في المنطقة، وتسريع وتيرة تخصيب اليورانيوم، بالإضافة إلى الاهتمام بتحديث الترسانة التسليحية لكل من الحرس والجيش الإيرانيين، واستشراف مستقبل الدور الإيراني في المنطقة العربية، من خلال تعزيز طهران علاقاتها مع دول المنطقة، وتطوير علاقاتها مع القوى الكبرى مثل روسيا والصين ومحاولة التهدئة مع واشنطن.

الكلمات المفتاحية: إيران، طوفان الأقصى، إسرائيل، حماس

The Impact of the "Al-Aqsa Flood" Operation on the Iranian Role in the Arab Region

■ Mervat Zakaria

Researcher in Iranian studies

PhD student at the Faculty of Economics and Political Science, Cairo University

■ Sherif Haridy

Researcher in Iranian studies

PhD student at the Faculty of Economics and Political Science, Cairo University

Abstract:

The study addresses the impact of Operation Flood of Al-Aqsa on Iran's role towards the Arab region and the limits of this influence, while shedding light on Iran's goals that it sought to achieve as a result of that operation, whether related to its regional role or its attempt to question the concept of deterrence in Israel. The study also examines the features of the Iranian role in supporting the Flood of Al-Aqsa, through activating what is called "unity of arenas", and Hezbollah's entry into the confrontation with Israel since the first days of the outbreak of the Flood of Al-Aqsa, as well as targeting American bases in the region, and disrupting navigation in the Red Sea through Houthi threats in Yemen, in addition to evaluating the potential repercussions of Operation Flood of Al-Aqsa on Iran, which included the decline of Iran's regional influence, the erosion of its militia network in the region, and accelerating the pace of uranium enrichment, in addition to the interest in modernizing the weapons arsenal of both the Iranian Guard and the army, and anticipating the future of the Iranian role in the Arab region, through Tehran strengthening its relations with the countries of the region, developing its relations with major powers such as Russia and China, and attempting to calm things down with Washington.

Keywords: Iran, Flood Al-Aqsa, Israel, Hamas